



الحمد لله بجميع المحامد، أقصى ما يبلغه الحامد، حمداً على الخير وعلى المصائب،

**وأشهد أن لا إله إلا الله، له الدين الواصِب، والسلطان الغالب**

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي العاقب، المبعوث بأشرف البقاع وأذكى المناقب. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وحملة كتابه، الواقعين على أحكماته حلاله وحرامه، والداعين إلى سنته **والموقرین لجناه**، ما ترددت الأعصار، وتعاقب الليل والنَّهار. ورضي الله تعالى عن خلفائه الراشدين، وسائر الصحابة أجمعين، والتابعين لهم على الهدي المبين

### أما بعد

إن العين لتذرق دمعاً، والقلب ليتزف دماً على ما يحدث في بلاد المسلمين من تشريد للأمنين وقتل وسفك للدماء لا أقول بيد اليهود المجرمين ، بل قتل المسلمين بيد المسلمين، **أي فتنة بعد هذا؟!**

أي انتهاء لحرمة الدماء بعد هذا؟! أي شر مستطير وذنب عظيم وضلال مبين بعد هذا؟! أصبح المسلم يستحل دم المسلم، والأرواح تزهق بالباطل والزور وبغير الحق، والمجازر التي يذبح ويقتل فيها الأبرياء ، **أي جاهلية هذه التي أصبحنا نعيش فيها؟! إنها الجاهلية الجهلاء بعيتها، تخيم على القلوب والنفوس والعقول** من أجل ماذا؟ من أجل الكراسي والمناصب ، من أجل التحزب الأعمى والولاء للأشخاص والجماعات والأهواء، من أجل الدنيا الفانية، والمكاسب الزائلة، والمطامع الواهية. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**أين الفراعنة، أين القياصرة والأكاسرة، أين الملوك والوزراء والرؤساء؟** إنهم زالوا إلى زوال وصاروا تحت الشرى والتراب

### أول من سفك الدماء

يروي لنا القرآن الكريم عن أول جريمة قتل وقعت في الأرض بين ابنين من بني آدم عليه السلام، وهما هابيل وقابليل قال تعالى: ) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرِبَا قُرْبَانًا فَتَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَتَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لِلْأَقْتُلْنَكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقْبِلِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسَطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِلْأَقْتُلْنَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِيَأْمُونِي وَأَثْمُكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسَهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصَبَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(30) المائدة

### قال أهل علم التفسير

أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة يعتبر بها المعتبرون، صدق لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابناء لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين.

أي: اتل عليهم نبأهما في حال تقربيهما للقربان، الذي أدهما إلى الحال المذكورة.

) إِذْ قَرِبَا قُرْبَانًا أي: أخرج كل منهما شيئاً من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَتَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ() بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامه تقبل الله لقربان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. قال ابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغياً أقتُلْنَكَ فقال له الآخر - مترفقا له في ذلك - ((إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ

**المُتَقِّينَ ((فَأَيْ ذَنْبٍ لِي وَجْهًا تَوْجِبُ لَكَ أَنْ تَقْتُلَنِي؟ إِلَّا أَنِ اتَّقَى اللَّهُ تَعَالَى، الَّذِي تَقْوَاهُ وَاجْبَةٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ، وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَأَصَحُّ الْأَقْوَالُ فِي تَفْسِيرِ الْمُتَقِّينَ هُنَا، أَيْ: الْمُتَقِّينَ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ، بَأْنَ يَكُونُ عَمَلَهُمْ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ، مُتَبَعِّينَ فِيهِ لِسْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

ثم قال له مخبراً أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة فقال:

**لَئِنْ بَسَطَتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتَلَنِي مَا أَنَا بِإِيمَانِكَ لَلْأَقْتَلُكَ** وليس ذلك جبنا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَالْخَائِفُ لِلَّهِ لَا يَقْدِمُ عَلَى الذَّنْبِ، خَصْوَصًا الذَّنْبُ الْكَبَارُ. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه.

**إِنِّي أَرِيدُ أَنْ تَبُوءَ**: أي: ترجع باثمي وإثمرك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلاً أو قتلتني فإني أوثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فت تكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين دل هذا على أن القتل من كبائر الذنب، وأنه موجب للدخول النار

فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينجر، ولم يزل يعم نفسه ويجزمهها، حتى طوعت له قتل أخيه الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه.

**فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**: دنياهم وآخريتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل.

"ومن سن سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة".

فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأُولَى كَفِلَ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَ الْقَتْلَ) رواه البخاري ومسلم والنamenti وابن ماجه وأحمد

### حرمة الدماء عند أهل الكتاب

لقد حرم الله عز وجل القتل وسفك الدماء للنفس البشرية في شريعة أهل الكتاب ممن كانوا قبلنا

قال تعالى: )مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (المائدة: 32)

### قال أهل التفسير

**قوله تعالى: )مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ)** أي: من أجل ذلك الذي فعله قابيل ((كتبنا على بني إسرائيل أنه))

وقوله: ((**كَتَبْنَا** )) أي: فرضنا وأوجبنا على بني إسرائيل، وخصوصاً بالذكر لأنهم أول من تعبدوا بذلك، غير إنهم مشهورون بأنهم قتلة الأنبياء، فسفكوا دماء الأنبياء وهي أشرف الدماء وأعظم الدماء، وأكثرها حرمة وعصمة عند الله تعالى.

والهاء هنا تدل على الشأن ((أَنَّه)) أي: الشأن. ((من قتل نفساً بغير نفس)) يعني: بغير نفس قتلها. ((أَوْ فَسَادٌ)) أو بغير فساد ((في الأرض)) أي: فساد أتاه في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق ونحوه.

((أَنَّه مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا )) يعني: بغير قتل نفس يجب الاقتصاص أو بغير فساد يجب إهدار دمه؛ لأن الذي يبيح القتل هو إما إن يقتل الإنسان نفساً بغير حق، وإنما أن يعيث في الأرض فساداً بصورة كثيرة بينها بعد ذلك، كالكفر، والحرابة، أي: المحاربون من قطاع الطريق، وكذلك زنا المحسن مما يبيح دمه. قوله: ((**فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** )) أي: من حيث إنه هتك حرمة الدماء، وسن القتل،

وَجَرَأَ النَّاسُ عَلَيْهِ، أَوْ مِنْ حِيثِ إِنْ قَتْلَ الْواحِدِ وَقَتْلَ الْجَمِيعِ سَوَاءً فِي اسْتِجْلَابِ غَضْبِ اللَّهِ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى وَالْعَذَابُ  
الْعَظِيمُ

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ) أَيْ: بِأَنْ امْتَنَعَ عَنْ قَتْلِهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مِنْ حِيثِ انتِهَا حَرَمَتْهَا  
وَصُونَهَا ..

وَالْمَعْنَى: أَيْ: فَكَانَمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِالنَّاسِ جَمِيعًا، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ تَعْظِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ وَإِحْيَاهَا فِي الْقُلُوبِ، تَرْهِيبًا عَنِ  
الْتَّعْرُضِ لَهَا، وَتَرْغِيْبًا فِي حِمَایَتِهَا. وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ فِي مَعْنَى الْآيَةِ: مِنْ قَتْلِ نَفْسًا وَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مَعَادَتِهِ، وَأَنْ  
يَكُونُوا خَصُومَهُ كَمَا لَوْ قَتَلُوهُمْ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَدْ وَاحِدَةٌ عَلَى مِنْ سَوَاهِمِهِمْ، وَمِنْ أَحْيَاهَا وَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
مَوَالَاتَهُ كَمَا لَوْ أَحْيَاهُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ( ) وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ ( ) أَيْ: بَنِي إِسْرَائِيلَ (( رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ )) أَيْ: بِالْمَعْجَزَاتِ (( ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ  
ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِقُونَ ))، أَيْ: مُجاوِزُونَ الْحَدَّ بِالْكُفْرِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

### ما ورد في القتل عند أهل الكتاب

قَالَ تَعَالَى: ( ) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَاللَّأْنَفَ بِاللَّأْنَفِ وَاللَّأْذَنَ بِاللَّأْذَنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ  
وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةً لَهُ ( ) الْمَايِّدَةُ: 15

قال ابن جريج: لما رأت قريطة النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بالرجم وكانوا يخفونه في كتابهم ، قالوا : يا  
محمد : اقض بيننا وبين إخواننا بني النضير ، وكان بينهم دم ، وكانت النضير تعزز على قريطة في دمائها ودياتها  
كما تقدم . وقالوا : لا نطیعك في الرجم ، ولكننا نأخذ بحدودنا التي كنا عليها ، فنزلت وكتبتنا علیهم فیهَا أَنَّ النَّفْسَ  
بِالنَّفْسِ : { وَنَزَّلْتَ : { أَفَحَكِيمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

قال ابن عباس: المعنى : فما بهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقدون العينين بالعين ; وكانت بنو إسرائيل  
عندهم القصاص خاصة ، فشرف الله هذه الأمة بالدية.

وللحديث بقية

إن قدر البقاء واللقاء

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأنصار

تاريخ النشر : 10/02/2016

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأنصار

رابط الموقع : [www.mohammdfarag.com](http://www.mohammdfarag.com)